

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ٦ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْفَسَادَ ظَاهِرَةٌ سَلْبِيَّةٌ، كَمْ أَهْدَرْتَ مِنْ طَاقَاتٍ، وَكَمْ عَطَلْتَ مِنْ تَنْمِيَةٍ وَبِنَاءٍ؛ وَلِذَا فَقَدْ اتَّفَقَتِ الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ عَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الْفَسَادِ بِكُلِّ صُورِهِ وَأَشْكَالِهِ، وَبَيَّنَّتْ عِلَامَاتٍ وَأَمَارَاتِ الْمُفْسِدِينَ؛ لِيَحْذَرَهَا الْمُؤْمِنُونَ.

إِنَّ الْفَسَادَ وَإِنْ مَلَأَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يُحِبُّهُ، وَلَا يُحِبُّهُ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ. وَعَجِيبُ حَالِ أَهْلِ الْفَسَادِ، تَرَاهُمْ يَتَّهَمُونَ غَيْرَهُمْ بِالْفَسَادِ، وَيَبْرُؤُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ، وَلَا ضَيْرَ، فَلَقَدْ قَالَ فِرْعَوْنُ الَّذِي ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ وَالْأَلُوْهِيَّةَ عَنْ كَلِيمِ الرَّحْمَنِ مُوسَى ﷺ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَمَّ الْهَوَى قُلُوبَ الْمُفْسِدِينَ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ لِلنَّاصِحِينَ، فَضَلَّ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ لَهُمْ، بَلْ رُبَّمَا اتَّهَمُوا النَّاصِحِينَ بِالْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ كَانَ النَّهْيُ عَنِ الْفَسَادِ وَظِيْفَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ. فَصَالِحُ ﷺ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وَشُعَيْبُ ﷺ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وَكُلُوبُ ﷺ دَعَا رَبَّهُ: ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا عَنْ نَبِيِّهِ وَكَلِيمِهِ مُوسَى ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾..

لَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ ﷻ الْمُفْسِدِينَ، وَتَعَدَّدَتْ عُقُوبَتُهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ:

الأوَّلُ: الْمُفْسِدُونَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْتَقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

الثَّانِي: أَهْلُ الْفَسَادِ يَزْدَادُونَ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾.

الثَّالِثُ: لَا يَسْتَوِي حَالُ أَهْلِ الْإِصْلَاحِ وَحَالُ أَهْلِ الْإِفْسَادِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾.

الرَّابِعُ: الْفَسَادُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾. وَمَعَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ غَارِقُونَ فِي الْفَسَادِ، إِلَّا أَنَّهُمْ مُزَيَّفُونَ لِلْحَقَائِقِ، لَيْسُوا أَصْحَابَ فِسَادٍ فَحَسَبُ، بَلْ يُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاسِ، وَيَظْهَرُونَ بِاسْمِ الْإِصْلَاحِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. أَلَا فَلْيَعْتَبِرُوا بِمَنْ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

الخَامِسُ: الْفَسَادُ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ. قَالَ جَلَّ وَعَلَا عَنْهُمْ: ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. السَّادِسُ: الْفَسَادُ مِنْ صِفَاتِ السَّحَرَةِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنْ نَبِيِّهِ وَكَلِيمِهِ مُوسَى ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْسَّحَرَةِ: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

السَّابِعُ: الْفَسَادُ مِنْ صِفَاتِ الْغَشَاشِينَ. فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ عَنْ خَطِيبِ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: حَارِبُوا نَزَعَاتِ الْفَسَادِ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَرْضَوْهُ مِنْ غَيْرِكُمْ، فَإِنَّ أُمَّةً سَرَى فِيهَا الْفَسَادُ لَيْسَتْ خَلِيقَةً بِالْبَقَاءِ، وَلَا مُوَهَّلَةً لِلرِّيَاذَةِ، وَبِقَدْرِ مَا يَتَشَرُّ الْفَسَادُ فِيهَا يَكُونُ مُؤَشِّرًا لِكَثْرَةِ الْمُبْطِلِينَ، وَضَعْفِ الْخَيْرِينَ. وَكُلَّمَا رَشَدَتِ الْمُجْتَمَعَاتُ، وَاهْتَدَتْ بِنُورِ الْوَحْيِ تَقَلَّصَ حَجْمُ الْفَسَادِ، وَتَوَارَى الْمُفْسِدُونَ.

إِنَّا جَمِيعًا مَسْئُولُونَ عَنْ مُحَارَبَةِ الْفَسَادِ، وَمُقَاوَمَةِ الْمُفْسِدِينَ، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»، أَمَّا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ فَمَوْعُودُونَ بِالنَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ دُونَ غَيْرِهِمْ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ تَعَدَّدَتْ صُورُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

الأول: الكفر بالله. قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

الثاني: المعاصي. قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

الثالث: قطع الطرق والحراثة. قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾.

الرابع: إثارة الفتن والحروب. قال الله تعالى عن اليهود: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الخامس: السحر. قال الله ﷻ: ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

السادس: أكل أموال اليتامى ظلماً. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

السابع: الوقوع في فاحشة قوم لوط. قال الله تعالى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام، ودُعائه على قومه: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الثامن: السرقة. قال الله ﷻ: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

التاسع: فساد البيئة. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

العاشر: القتل والتخريب في الغزو. أخرج أحمد وأبو داود والنسائي، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الغزو غزوان: فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبته أجر كله، وأما من غزا فخرًا ورياءً وسُمعةً، وعصى الإمام، وأفسد

فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ».

الْحَادِي عَشَرَ: إِضَاعَةُ الْمَالِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَدَا النَّسَائِيَّ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ، لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا».

قَالَ الْمُبَارَكُفُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ»: «غَيْرَ مُفْسِدَةٍ». أَي: غَيْرَ مُسْرِفَةٍ فِي التَّصَدُّقِ. وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى إِذْنِ الزَّوْجِ لَهَا بِذَلِكَ صَرِيحًا أَوْ دَلَالَةً.

الثَّانِي عَشَرَ: عُثُوسَةُ النَّسَاءِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ».

الثَّلَاثَ عَشَرَ: فَسَادُ الْقَلْبِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

الرَّابِعَ عَشَرَ: إِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ». وَمِمَّا يُفْسِدُ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ النَّاسِ: السَّعْيُ بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرَارِكُمْ؟، الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَنْتَ». وَالنَّمِيمَةُ: نَقْلُ كَلَامِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ.

الخَامِسَ عَشَرَ: تَغْيِيرُ أَحْوَالِ النَّاسِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ لِيَأْرِزُ إِلَى الْحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنَ الْحِجَازِ مَعْقِلَ الْأَرْوِيَّةِ [أَي: الْأُنْثَى مِنَ الْمَعْزِ الْجَبَلِيِّ] مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ. إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُضْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي».